

التفكير في السياق والمعنى عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي

م . م . قصي ثعبان يوسف

أ . د . سلام موجد خلخال

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

ملخص البحث :

شكل السياق اللغوي و سياق الحال في النحو العربي مرتكزا مهما في الكشف عن المعاني النحوية ، وقد فصل فيه النحويون القدماء ، وربطوا بينه وبين المعنى ، وبينوا مواضع السياق اللغوي وأحواله ، وكذا سياق الحال (المقام) ، وكذلك الحال عند المحدثين ، فقد سلطوا الضوء وفصلوا في السياقات ، وربطوا بينها وبين وضوح المعاني النحوية ، لذا جاء اختياري لعنوان البحث الموسوم بـ (التفكير في السياق والمعنى عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي) ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ما له ، أي : التفكير في السياق وعلاقته بالمعنى من جدة عنده ؛ لأنه ربط بين السياق وظاهرة الحذف مقترحا بديلا ، وهو البديل المعنوي من ظاهرة الحذف ، فجاءت الدراسة على محاور عدة ، هي (سياق الحال والمعنى ، تفكير المتكلم ، والمتكلم وعلاقته بالمخاطب ، تفكير المخاطب ، علم المخاطب ، السياق اللغوي والمعنى ، والإعراب والمعنى ، والتعريف والتنكير) ، فخلصي الدراسة إلى نتائج مهمة ، منها : أن السياق اللغوي والمقامي له دور كبير في بيان المعنى ، وأن طرفيه (المتكلم والمخاطب) يشكل مرتكزا في توصلهما ، وأن القرينة تنقسم إلى قسمين بالنظر إلى المعنى في ذاته : قرينة كاشفة ، وقرينة موحدة للمعنى ، وأن القرينة تكشف عن العامل في التركيب النحوي ، وانتهت الدراسة بالخاتمة ونتائج البحث ، والهوامش ، والمصادر والمراجع .

Abstract of the research :

The form of the linguistic context and the case context in Arabic grammar is an important basis in revealing the grammatical meanings, and the ancient grammarians separated it and linked it to the meaning, and indicated the places and conditions of the linguistic context, as well as the context of the case (the position), and the same is the case with the modernists. They shed light and separated the contexts, and linked them with the clarity of the grammatical meanings, so my choice came for the title of the research tagged with (Thinking about the context and the meaning of Dr. Karim Hussein Nasih Al-Khalidi), this is on the one hand, and on the other hand what it has, namely: thinking about the context and its relationship to the meaning from his grandmother; Because he linked the context and the phenomenon of deletion, suggesting an alternative, which is the moral alternative to the phenomenon of deletion, so the study came on several axes, which are (the context of the case and the meaning, the thinking of the speaker, the thinking of the addressee, the science of the addressee, syntax and meaning, definition and indefiniteness), so the study concluded with important results, Including: that the linguistic and grammatical context plays a major role in clarifying the meaning, and that its two parties (the speaker and the addressee) constitute a pivot in their communication, and that the context is divided into two parts by looking at the meaning in itself: a revealing context, and a context that creates the meaning, and that the context reveals the factor in the grammatical structure The study ended with the conclusion, research results, footnotes, sources and references.

المقدمة

حظى السياق اللغوي وسياق الحال في النحو العربي بأهمية بالغة ؛ لأنه اقترن ببيان المعنى النحوي في التراكيب ، وشكل مرتكزا مهما في ذلك عند النحويين في بيان أثره في المعاني المختلفة في النحو ، بل إنه قد ظهر في مؤلفاتهم كعنصر مهم يرتبط بالمتكلم والمخاطب والتركيب ؛ لأنه يحقق التواصل بينهما من خلال إيضاح المعاني ، وفي الحذف خاصة ، فالسياق يكشف عن العامل المحذوف وغيره ، ويبينه للمخاطب لدفع اللبس ، فلا حذف دون دليل (سياق) يدل عليه ، وهذا ظاهر وواضح في (كتاب سيبويه) ، فقد بين دلالة السياقات المختلفة التي تدل على المعاني المختلفة ، وقد تبعه النحويون في ذلك في مؤلفاتهم ، بل واتسعوا فيه ، فالسياق قد كان حاضرا في تفكيرهم ، إذ وضحو أبعاده داخل التراكيب النحوية وخارجها ، وفصلوا فيه أيما تفصيل ، فالسياق اللغوي قد حدوا سياقاته ، ودلالاته ، ومعانيه ، وكذا السياق المقامي ، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أهمية السياقات وأثرها في بيان المعاني المختلفة ، إيجادا وكشفا ، وكذلك اهتم المحدثون بالسياقات ، ووضحو أبعاده وحدودها وأهميتها ، وارتباطها بالمعنى النحوي ، وأشاروا للدور الكبير الذي قدمه القدماء في ذلك ، وقد وضحو النظريات السياقية ، لبيان حدود وأبعاد السياق وأثره في المعاني النحوية ، وأرى أن رصد وظيفة السياق وعلاقته في المعنى تكشف عن قسميه : القرينة الكاشفة والقرينة الموحدة .

مدخل :

يرتبط المعنى بالسياق سواء أكان سياقاً لفظياً أم كان سياقاً مقامياً (الحال) ارتباطاً وثيقاً بالنحو العربي ، فالقدماء قد أولوه أهمية قصوى ؛ لما له من أهمية في بيان المعنى وظهوره ، ففي كتاب سيبويه لا تخلو مسألة من مسائله من سياق لغوي أو مقامي وله الدور الكبير في توضيح المعاني النحوية^(١) ، وتبعه النحويون في تسليط الضوء على السياق كعنصر مهم في الكشف عن المعنى . أما المحدثون فلم يكونوا بأقل من القدماء في الاهتمام بالسياقات النحوية . إذ نجدهم قد فصلوا في ذلك^(٢) ، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أهمية السياق اللغوي وسياق الحال في تجلي المعنى في التراكيب النحوية .

المحور الأول : سياق الحال والمعنى :

سياق الحال أو المقام يعني كل ما يحيط بالنص خارجياً ، من متكلم ومخاطب ، وما بينهما من علاقات ثقافية ، واجتماعية ، ونفسية ، وغيرها من العلاقات ، وكذا العصر الذي قيل فيه النص ، والمناسبة ، ونحو ذلك^(٣) .

- المحور الثاني : تفكير المتكلم :

ذهب الدكتور كريم حسين ناصح إلى أن المتكلم في ذهنه يصوغ الجملة حسب الظروف الخارجية الواقعة تحت النظر والسمع ، فيختار ما يناسب الموقف من جملة فعلية أو اسمية ، تامة الأركان أو غير تامة ؛ استغناء بدلالة الحال ، مما يترتب عليه اختلاف المعنى ، وكل هذا يدور في ذهن المتكلم قبل النطق به^(٤) . ذكر سيبويه ما يدور في ذهن المتكلم والإضمار وبين الظاهرة بقوله : ((ومن ثمّ قالوا : مصاحبٌ معانٌ ، ومبرورٌ مأجورٌ ، كأنه قال : أنت مصاحبٌ ، وأنت مبرورٌ . فإذا رفعت هذه الأشياء فالذي في نفسك ما أظهرت ، وإذا نصبت فالذي في نفسك غير ما أظهرت ، وهو الفعل ، والذي أظهرت الاسم))^(٥) . ووضح الرماني قول سيبويه في (مصاحبٌ معانٌ) ، و(مبرورٌ مأجور) ، بأن الرفع على تقدير (أنت) ، والنصب على إضمار فعل (أذهب) ، وهذا التقدير والحذف في حال مشاهدة القدم والذهاب^(٦) . أما المحدثون فقد اهتموا بالتفكير لدى المتكلم ، فقد ذهب سعيد بحيري إلى ان المتكلم عند الحذف يربط بين الدلالة النفسية في نفسه أو ذهنه مقدراً البناء التركيبي الملائم للحال ، بعد ترديده للصياغات المتنوعة (النحوية) ، ومن ثم ينتقل للتأليف اللغوي الملائم للمخاطب منطوقاً ومسموعاً^(٧) .

وذهب المخزومي إلى أن الجملة تركيب لفظي لفكرة موجودة في ذهن المتكلم ، فربط الصور للخارج في الذهن يتم من خلال ربط النسب ذهنياً عند المتكلم ، ومن ثم يخرجها إلى المخاطب لفظياً^(٨) ، وأن حذف الفعل يكون بعد الاكتفاء بما يدل عليه من سياق ، سواء أكان سياقاً لغوياً أم كان سياقاً حالياً^(٩) .

ويظهر مما تقدم ذكره أنفاً أن تفكير المتكلم يقع ذهنياً ضمن سياقات تحكم المعنى المقصود من بين المعاني الأخرى ، مما يتطلب اختيار تركيب مناسب لهذا المعنى ، دون تراكيب أخرى .

المحور الثالث : المتكلم وعلاقته بالمخاطب :

ذكر الدكتور كريم حسين ناصح عن أن المتكلم له علاقة وثيقة بالمخاطب لإنشاء الخطاب ، ففهم المخاطب مبني على التوافق مع المتكلم فيما يقول ، وفي الدلالة والرموز في التركيب اللفظي ، بل الأحوال ، موضحاً أن سببويه قد جعل المتكلم في مقام المخاطب حين إنشاء التركيب ، وهذه العلاقة بين المتكلم والمخاطب لها من الأهمية الكبيرة في بناء الكلام وأحواله ، فالمتكلم لا تكفيه صياغة التراكيب ، واختيار النمط ، بل يجعل نفسه كالمستمع (كالمخاطب) ، وهذا يدل على عمق التفكير النحوي^(١١) .

أشار سببويه إلى أن المتكلم قد يجعل نفسه المخاطب ، بقوله : ((وما ينتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره ، قولك : هلاً خيراً من ذلك ، وألاً خيراً من ذلك ، أو غير ذلك . كأنك قلت : ألا تفعل خيراً من ذلك أو ألا تفعل غير ذلك ، وهلاً تأتي خيراً من ذلك . وربما عرضت هذا على نفسك فكنت فيه كالمخاطب ، كقولك : هلاً أفعل ، وألاً أفعل))^(١٢) .

وفسر الرماني قول سببويه بقوله : ((ويجوز : (هلاً تفعل خيراً من ذلك ، فيخرج الكلام مخرج تحضيض المتكلم لنفسه ، وإن كان دالاً على تحضيض المخاطب من جهة أي أختار لك ما اخترته لنفسه))^(١٣) . وما يدل على أهمية فهم المخاطب لما يقوله المتكلم ويتبناه هو جعل سببويه المتكلم نفسه المخاطب ؛ لأن المخاطب هو المتلقي الذي يرمي المتكلم إفهامه ما يقصد ، وجعل التركيب المعبر عن قصده موافقاً لفهم المخاطب ضرورة مهمة في التواصل .

أما المحدثون فقد ذهبوا إلى أهمية معرفة المتكلم لحال المخاطب ؛ لأن صياغة التركيب المعبر عن القصد والمعنى الذي يحمله المتكلم وفق حال وفهم المخاطب يحقق التواصل ، فعلم المخاطب مهم في التوسع من قبل المتكلم في تراكيبه^(١٤) .

اتفق القدماء والمحدثون على أن المتكلم والمخاطب تربطهما علاقات مهمة في ضوئها ينشأ النص ، وهذه العلاقات من الأهمية في تحقيق التواصل .

- المحور الرابع : تفكير المخاطب :

يشكل المخاطب أحد عناصر عملية نشوء النص ، وقد جعله الدكتور كريم حسين ناصح من أهم عناصر تكوين الكلام ؛ لأنه (إفهام المخاطب) هو الغرض الرئيسي لمراد المتكلم ، فالكلام قائم عليه وجوداً ، وما تنوع التراكيب وأنماطها إلا مراعاة لحال المخاطب المختلفة من جهة معينة ، وكذا لا يكون علمه بالخبر على مستوى واحد ، وفهمه أيضاً^(١٥) ، وقد وضح الدكتور مراعاة حال المخاطب من لدن النحويين القدماء ، إذ جعلوا له أهمية كبيرة في الكلام^(١٦) .

اهتم سببويه في بيان حال المخاطب وعلاقته في تشكل التركيب والمعنى عند المتكلم ، بقوله : ((ولا يجوز أن تقول : بعثت داري ذراعاً ، وأنت تريد بدرهم ، فيرى المخاطب أن الدار كلها ذراعٌ ... ولا يجوز تصدقت بمالي درهماً ، فيرى المخاطب أنك تصدقت بدرهم واحد ، وكذلك هذا أو ما أشبهه))^(١٧) . وذكر ابن السراج أهمية مراعاة الإلتباس عند المخاطب في الحذف ، تعقيباً على مثال سببويه ، بقوله : (ما كلُّ سواد تمرّة ولا بيضاء شحمة) ، أي : ولا كل بيضاء شحمة ، إنما حذفها لتقدم ذكرها ولإبعاد الإلتباس عند المخاطب^(١٨) .

وذهب السهيلي إلى مراعاة السامع (المخاطب) عند المتكلم ، بقوله : ((وفائدة أخرى ، وهي أن الداعي قد يُضمّن دعاءه القصد إلى إعلام السامع وإعلام المخاطب بأنه داع ، فجاء اللفظ بلفظ الخير ، إشعاراً بما تضمنه من معنى الإخبار ، تقول : ((أعزك الله وأبقاك)) و ((أكرم الله زيداً)) ، و (لا رحم فلاناً)) ، جمعت بين الدعاء والإخبار بأنك داع))^(١٩) .

أما المحدثون فقد بينوا أهمية حال المخاطب كسياق مقامي في نشوء النص ، فذهب أسعد العوادي إلى أن المتكلم يراعي في حال الكلام مقام وحال المخاطب والمتلقي ؛ لأنه من العناصر المهمة في تواصل التفاهم والاتصال بينه وبين المتلقي ، فإدراك المخاطب لكلام المنشئ مبني على التواصل الاجتماعي والنفسي والظروف الأخرى وحضوره لدى المتكلم^(٢٠) .

وأكد لطيف الزامل على دور المخاطب في اختيار النمط اللغوي من قبل المتكلم ، بما يناسب حال المتلقي ؛ لأن الكلام سلوك وعرف اجتماعي ، يجب أن يكون ملائماً لهذه الخصائص الاجتماعية ، ليحقق التفاهم بين المتكلم والمخاطب^(٢١) .

تبين لي أن مراعاة حال المخاطب يشكل عنصراً مهماً لدى المتكلم من جانب تحديد النمط اللغوي الملائم للمقام ، وهذا كله حاضر في تفكير المتكلم قبل النطق بالكلام .

- المحور الخامس : علم المخاطب :

إن علم المخاطب يلعب دوراً كبيراً في كثير من أنماط الجمل والكلام من قبل المتكلم . أكد الدكتور كريم حسين ناصح على أهمية علم المخاطب في عملية التخاطب ، وأن النحاة قد أهتموا قديماً بعلم المخاطب ، كالخليل وسيبويه ، فالحذف مبني في حذفه عند المتكلم على علم المخاطب ، كحذف الفعل والمبتدأ أو غيرهما ، بل في التعريف والتذكير في داخل الكلام يعتمد في ترتيبها على علم المستمع (المخاطب) ، ومعرفة النحاة القدماء بحالات علم المخاطب من الاتساع أن يحاط به^(٢٢) .

ذكر سيبويه أهمية علم المخاطب في بناء الكلام ، بقوله : ((ومثله في الاتساع قوله عز وجل : ((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً))^(٢٣) ، فلم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : مثلكم مثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع . ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى))^(٢٤) . ووضح المبرد أن لعلم المخاطب دوراً كبيراً في حذف الجواب ، بقوله : ((وقال قوم : الخبر محذوف ؛ لعلم المخاطب ، كقول القائل عند تشديد الأمر : إذا جاء زيدٌ ، أي إذا جاء زيدٌ علمت ؛ وكقوله : إن عشتُ ، ويكُلُّ ما بعد هذا إلى ما يعلمه المخاطب . كقول القائل : لو رأيت فلاناً وفي يده سيف))^(٢٥) .

أما السيرافي قد وضح أن علم المخاطب عنصر مهم (كسياق حال) في الحذف ، بقوله : ((يريد أنهم قد حذفوا الثمن في هذا لما عرف بعادة الناس في ذلك ؛ لأنهم قد اعتادوا الابتياح بثمن بعينه ، دراهم أو دنائير فتركوا ذكره اكتفاءً بمعرفته ، كما يقال لنا : الخبز عشرة ، أي : عشرة أرطال بدرهم ، والكر بثلاثين ، يراد : الكر من الحنطة ، وبينت حسابه باباً باباً لأن الحذف هناك يغير المعنى ، وهذا غير مغير لما عرف مكانه))^(٢٦) .

وذكر السهيلي أن علم المخاطب بالمعنى المقصود قد يؤدي الى حذف ما علم ، كقولهم : (أيش) ، أي : أي شيء / فالحذف يقع بعد العلم به من قبل المخاطب^(٢٧) .

أما المحدثون فقد اهتموا و فصلوا في علم المخاطب كمرتكز من سياقات الحال ، فذهب لطيف الزاملي إلى أن الحذف يكون بعلم المخاطب ، فالعرب تترك ذكر بعض أجزاء التركيب لعلم المتلقي بذلك^(٢٨) . وذكر إدريس مقبول أن المعرفة بين أفراد الخطاب (المتخاطبين) تعد من عناصر السياق في التداولية الحديثة^(٢٩) .

ووضح أسعد العوادي أن علم المخاطب بالمحذوف يشكل ظاهرة مهمة في النحو العربي ، فالحذف كثيراً ما يقع بعد علم المخاطب به ، وأن علم المخاطب عند النحاة شكل ظاهرة واضحة عندهم^(٣٠) . وأكد محمد محمد يونس على علم المخاطب ، وموقعه في الخطاب ، ومهماته ، وأن كثيراً من النقص في الخطاب (المحذوف) يكمله المخاطب من خلال عمله به ، وتحليل قصد المتكلم ، وأن المتكلم يحذف بعد علم السامع به^(٣١) .

ويتضح مما تقدم ذكره أنفاً أن السياق (سياق الحال) له دور كبير في بيان المعنى ، مما دفع النحاة إلى التفكير في حدوده ، وأنماطه ، سواء أكان عند القدماء أم عند المحدثين ، ولكنه من الاتساع ما لا يمكن حده ؛ لأنه يرتبط بأحوال المتكلم والمخاطب والظروف الاجتماعية والنفسية ، وغير ذلك ، وهي متغيرة بحسب المقام والحال للنص ، وبتبين أن النحاة قد نظروا في بعض السياقات بمعنية المتكلم تارة ، والمخاطب تارة أخرى ، وأرى انه ممكن أن ينظر إلى السياق بمعنية المعنى ، فيمكن من خلال هذه الجهة أن نجعله ، أي : السياق قرينتين : الأولى: قرينة مُوجدة للمعنى ، أي : أنها توجد المعنى بعد إن لم يكن موجوداً ، نحو قوله تعالى : ((وَمَا تَلْكَ بِبَيْمِينِكَ يَا مُوسَى))^(٣٢) ، فالتركيب بمعناه الظاهر (ما) استفهام ، وبالقرينة الخارجية تقرير^(٣٣) ، فالسياق قد أوجد معنى التقرير وهجر المعنى التركيبي (الاستفهام) ، والقرينة الثانية : وهي القرينة الكاشفة ، وهذه القرينة تكون في جزء التركيب ، كما في الحذف ، فقولنا : (سِيرَ عَلَيْهِ لَيْلٌ) ، مع إرادة معنى (لَيْلٌ طَوِيلٌ) ، يمدُّ (لَيْلٌ) بالتنغيم ، فيدل على الصفة المحذوفة^(٣٤) ، فالسياق الخارجي (التنغيم) قد كشف عن جزء المعنى المحذوف وهو الصفة (طويلٌ) ، فالسياق بالنظر إلى جهة المعنى يكون كاشفاً وموجداً للمعنى ، والسياق الموجد للمعنى يعمل كالناسخ والمنسوخ .

-المحور الخامس : السياق اللغوي والمعنى :

ذكر النحاة أن القرائن اللفظية داخل التركيب تدل على المعاني المختلفة ، لذا قد اهتموا كثيراً في التفصيل بها .

-المحور السادس : الإعراب والمعنى :

للإعراب أهمية كبيرة داخل التركيب كسياق لغوي ، فقد ذهب الدكتور كريم حسين ناصح إلى أن العلامة الإعرابية التي عدّها النحويون دلالة على الحذف والتقدير هي علامات إيحائية للمعاني التي تقصد من قبل المتكلم ؛ لأن المتلقي العربي الفصيح لا يقدر ، بل يجعل العلامة ملهمة له بالمعنى الذي يقصده المتكلم ؛ لأن التقدير متأخر عن النطق العربي ، سواء أكان هذا النطق في القرآن الكريم أم في غيره ، فالضمة علامة إعرابية تدل على الثبوت والاستقرار ، والكسرة تدل على معنى الإضافة وتوحي به ، والفتحة علم المفعولية^(٣٥) ، فالتقدير عند النحاة ليبرزوا العامل الذي أدى إلى الحركة ، والعكس - حسب ما ذهب إليه الدكتور - هو الصحيح فالعلاقة تقود إلى المعنى الذي يرد في ذهن السامع ، أما تقدير النحوي أو المفسر فهو متأخر عن فهم السامع ، وعليه فإن العلامة موحية بالمعنى عند السامع (المتلقي) ، وكذا عند النحوي وإن جعله ، أي : المقدر أولاً مقتضياً بعد ذلك للعلامة ، وعليه قد رفض الدكتور تأويلات النحويين الذين جعلوا العلامة مقتضية للعامل (المقدر) ، فتقديرهم وتوجيههم تعقيد وتمحل لا موجب له^(٣٦) .

وذهب الدكتور إلى أنه لا عبرة فيما تبناه قطرب بالنسبة إلى عدّه أن هذه العلامات (الإعراب) ليست للدلالة على المعاني ، وإنما هي لوصل الكلام بعد إن كان ساكناً^(٣٧) .

صرّح سيبويه في أول كتابه بالعلامات الإعرابية ، وذكر مجاريها الثمانية ، وربط بينها وبين العامل في الإعراب والبناء^(٣٨) ، وذكر أن هذه العلامات تدل على المعاني ، بقوله : ((هذا باب يختار فيه الرفع وذلك قولك : له علمٌ علمُ الفقهاء ... وإنما كان الرفع في هذا الوجه لأن هذه خصال تذكرها في الرجل ، كالحلم والعقل والفضل ، ولم ترد أن تخبر بأنك مررت برجل في حال تعلم وتفهم ، ولكنك أردت أن تذكر الرجل بفضل فيه ، وأن تجعل ذلك خصلة قد استكملها .. لأن هذه الأشياء وما يشبهها صارت تحلية عند الناس وعلاماتٍ ، وعلى هذا الوجه رفع الصوت))^(٣٩) . فيجعل سيبويه الرفع علامة على معنى ثابت ، فالعلامة الإعرابية قرينة لفظية على المعنى المقصود .

ويقول (سيبويه) : ((وإن شئت نصبت فقلت : له علمٌ علمُ الفقهاء ، كأنك مررت به في حال تعلمٍ وتفقهٍ ، وكأنه لم يستكمل أن يقال له عالمٌ))^(٤٠) .

وربط السيرافي بين حركات الإعراب والعامل ، وتغيير العوامل يقتضي تغيير الحركة ، وإن الحركات هي آثار للعوامل^(٤١) ، وذكر أن الرفع في قولك : (له علمٌ علمُ الفقهاء) على معنيين : الأول البدلية ، أي : له علمُ الفقهاء ، والثاني : إضمار (هو) ، أي : له علمٌ هو علمُ الفقهاء ، وفي كلا الوجهين يدل على الثبات بدلالة الرفع ، ويجوز النصب مع عدم الثبات^(٤٢) .

ووضع الرماني في تعريف للإعراب أنه أثر للعامل في آخر الكلمة ، وقسم حركاته إلى أربعة : رفعٌ ، ونصبٌ ، وجرٌ ، وجرمٌ^(٤٣) ، وبين أن الرفع في قولك : (له علمٌ علمُ الفقهاء) إذا أردت المدح فالثبوت بالرفع هو المختار ، أما إذا أردت النصب فهو إخبار محض ، أي : هو يعلمُ علمُ الفقهاء^(٤٤) .

وجعل ابن جني باباً خاصاً للإعراب ، ووضح أن الإعراب يدل على المعاني المختلفة ، فقولك : (أكرم سعيدياً أباه) و (شكر سعيداً أبوه) ، فالإعراب يبين للسامع الفاعلية والمفعولية ، وهو قرينة لفظية للمعنى^(٤٥) . وأكد الجرجاني على أن النظم ما هي إلا توحي معاني الإعراب ، فربط أجزاء التركيب ببعضه ببعض ، وجعل كل كلمة في مكانها ، من فاعلية ومفعولية والخبرية ، وغيرها ، لا يكون إلا بعد توحي معاني الإعراب^(٤٦) .

وصرّح الرضي في بيان معنى الإعراب ولم سمي المعرب معرباً ؛ لأنه يبيّن المعنى ، ويكشفه ، وأن الرفع يدل على كون الاسم عمدة كالفاعل ، والنصب يدل على الفضل ، والجر علم معنى الإضافة ، ويكون في آخر الكلمة للوصف ، أي : بيان العمدة والفضل ، وربط بين اختلاف الحركات في آخر الكلمة واختلاف العوامل^(٤٧) .

يظهر مما تقدم ذكره أنفاً أن القدماء قد ربطوا بين الإعراب والمعنى والعامل ، وأن الإعراب قرينة لفظية .

أما المحدثون فقد أكدوا على أهمية الإعراب كقرينة لفظية تدل على المعاني ، فقد صرح المخزومي - رحمه الله- أن الإعراب قرينة توضح المعنى الوظيفي في الجملة من فاعلية ومفعولية وحالية وغيرها^(٤٨) .
 وذهب فاضل السامرائي إلى أن الإعراب علماً للمعاني المختلفة في التركيب ، بعد أن عرض آراء القدماء فيه ، رافضاً رأي أي قطرب^(٤٩) .

وأكد تمام حسان على الإعراب كونه قرينة لفظية مهمة في بيان المعنى ، ولكنها تدل على المعاني المختلفة عندما ننظر إليها من مطلق العلامة ، فمطلق الضمة والفتحة والكسرة تدل على أبواب عدة ، ويرى أنها وحدها لا تعين على بيان المعنى تحديداً ، وإنما مع تضافر قرائن أخرى^(٥٠) .
 أما بالنسبة لرأي قطرب بن المستنير وقوله بأن الإعراب لوصل الكلام فقد ذكره الزجاجي في علله^(٥١) ، وأيد من المحدثين قطرب إبراهيم أنيس ، فذكر أن التحريك للوصول^(٥٢) ، ورفض المحدثون أغلبهم رأي قطرب^(٥٣) .

وأرى أن الإعراب قد جاء ليؤدي وظائف عدة ، مع اختلاف الجهة ، فهو قرينة على المعاني بالمطابقة ، ولكن هذه المعاني قد تكون مطلقة كالضمة تدل على العمدة وما يشبهها ، من فاعلية وابتداء وخبر وصفة وغيرها ، وتدل على معاني المحذوف خاصة كما في المصادر المنصوبة على الحذف ، وأن الحركة بظهور التركيب كاملاً تفسر المعنى ، أما بحذف جزئه فهي مفسرة للمعنى المطلق كما في (القرطاس والله) ، فالفتحة تدل على المفعولية ، ولكنها تدل على العامل من جهة أخرى ليكتمل المعنى الخاص بالمفعول به ، دون المفاعيل الأخرى .
 أما قول قطرب فهو قول الخليل الذي نقله سيبويه^(٥٤) المعنى بالمطابقة ، والثانية : الوصل في الكلام بالالتزام ، أي : أن له وظيفة ازدواجية باختلاف الجهة .

- المحور السابع: التعريف والتكثير :

ذهب الدكتور كريم حسين ناصح إلى عد التعريف والتكثير من القرائن التي تبين الأحكام النحوية ، ومواقعها في التركيب ، وعلامات الإعراب في حدود معرفة معانيها ، وهذا بعد عرضه لمكانة التعريف والتكثير عند النحويين ، مع الأمثلة التي توضح ذلك ، كقولهم : (هذا رجلٌ وعبداً لله منطلقٌ) ، فلك أن تجعل (منطلقٌ) صفة لـ (رجل) ، وحالاً لـ (عبداً لله)^(٥٥) .

أولى النحويون التعريف والتكثير أهمية كبيرة ، فعدوها من القرائن التي توضح الأحكام النحوية ، وتبين المعاني ، فقد ذهب سيبويه إلى جعل اسم المعرفة ، إذا اجتمعت معرفة ونكرة ؛ لأن الكلام يقتضي الابتداء بالمعرفة ، وهذا حكم معموليها إذا اجتمعا ، كما في الابتداء إذا اجتمعت نكرة ومعرفة ، نحو : (عبداً لله منطلقٌ) ، فالأعرف يُبتدأ به ، ثم النكرة يخبرها ، فقولك : (كان زيدٌ حليماً) و (كان حليماً زيدٌ) ، أن النكرة والمعرفة قرينة على الحكم ، أقدمت أم أخرت ، ومنع قولك : (كان حليماً) ، وتريد به الابتداء ؛ لأن النكرة لا يخبر عنها ، بل قد يوقع ذلك المخاطب في لبس^(٥٦) .

وذكر السيرافي أنه إذا اجتمعت نكرة معرفة ، سواء في (كان) أو في الابتداء ، جعلت المعرفة مبتدأ والنكرة خبراً ؛ لأن الفائدة في الاخبار بالنكرة ؛ فالمعرفة لا فائدة فيها ، فقولك : (كان زيدٌ قائماً) هو الوجه ، ومنع : (كان قائماً زيداً) ؛ لأن الفائدة في غير المعلوم ، والنكرة والمعرفة قرينة في التقديم والتأخير ، فلك أن تقول : (كان قائماً زيداً) ، بل إنهما يدفعان اللبس^(٥٧) .

ووضح الرماني أن اجتماع النكرة والمعرفة في الفعل (كان) يوجب جعل المفرعة اسمها والنكرة خبرها ؛ لأن لا فائدة في جعل المعرفة خبراً ، مما يوجب جعل النكرة مسنداً ، وأن جعل النكرة مبتدأ ، وإن كان المتكلم يعلمها فالمخاطب يجهلها ، مما يلبس على المخاطب ؛ لأن النكرة يمكن أن تكون خبراً ومخبراً عنها^(٥٨) .

وأكد ابن جني على تأخير المبتدأ إذا كان نكرة وخبره شبه جملة أو ظرفاً ، نحو : (عندك مالٌ) و(عليك دينٌ) ؛ لأن النكرة لا يخبر عنها إذا ابتدئ بها ، فمنع قولك : (مالٌ عندك) ، هذا في المثبت ، أما إذا كان هناك مسوغ للابتداء جاز ، كقولك : (هل مالٌ عندك) ، فالمعرفة أو ما قرب منها يحقق الفائدة في الإخبار^(٥٩) .

وفصل الرضي في مسوغات الابتداء بالنكرة ، بعد أن وضح أن المبتدأ يجب أن يكون معرفة أو ما يقرب من المعرفة ؛ لأن الحكم (الخبر) على شيء يكون بعد معرفته^(٦٠) .

يظهر مما تقدم عند القدماء أن للنكرة والمعرفة كقرينة مدخلية في بيان الأحكام النحوية ، بل في تحديد الموقعية في بعضها ، وكذا يفاد منها في دفع اللبس عند المخاطب .

أما المحدثون فقد اهتموا بالمعرفة والنكرة ، شأنهم شأن القدماء من النحويين ، فقد ذهب فاضل السامرائي إلى أن المبتدأ يكون معرفة على الأصل ، والخبر نكرة على الأصل ، ووضح مسألة الخلاف إذا جاء المبتدأ والخبر معرفتين عند النحويين في جعل أيهما مبتدأ^(١١) .
وجاء في كتاب النحو العربي أن المبتدأ يجب أن يكون معرفة ، لأن المبتدأ يجب أن يكون معلوماً عند المتكلم والمخاطب ، حتى يحمل المجهول (الحكم) على المعلوم (المحكوم عليه) ؛ لأن المجهول لا يفيد ، لذا منع أن يكون المبتدأ نكرة ، إلا أن تفيد بمسوغ^(١٢) .
وذكر في نحو العربية أن يمتنع الابتداء بالنكرة ؛ لأن الإسناد فيه حكم (الخبر) ، ولا يمكن حمل الحكم على مجهول ، لذا وجب أن يكون المبتدأ معرفة ، أو نكرة مسوغة للابتداء بها^(١٣) .
يتبين أن المحدثين قد ذهبوا حذو القدماء في كون أن المعرفة والنكرة في الإسناد قد بينت الأحكام النحوية ، وهي قرينة لفظية تدل على جهة الإسناد من مبتدأ وخبر ، وأن حكمها الرفع ، وكذا تدل على الموقعية .

الخاتمة ونتائج البحث :

السياق في النحو العربي احتل مكانة كبيرة ومهمة في بيان المعنى للتركيب النحوي قديماً وحديثاً ، وقد فصل النحويون قديماً في ضربي السياق (اللغوي والحالي) ، وبينوا أهميته في توضيح المعنى وجلائه ، وأن التركيب لا يكون من دون سياق ، فالحذف يجب فيه أن يقام عليه الدليل ليقع في التركيب ؛ لأن عدم الدليل يوقع اللبس عند المخاطب ، فعلى المتكلم بيانه بالقرينة ، وهذا قد خصه القدماء في التركيب ، ووضحوه وفصلوا فيه ، وبينوا دلالاته ، ونوعيه ، من سياق لغوي وحالي (مقامي) ، وكذا الأمر عند المحدثين ، فقد بينوا أهمية السياق وأثره في بيان المعاني ، وأثره في دفع اللبس عند المخاطب ، في ظاهرة الحذف خاصة ، وبعد الخوض في غمار ما ذكره القدماء والمحدثون في السياق اللغوي والمقامي توصلت الدراسة إلى نتائج ، هي :

- أن القدماء والمحدثون قد قسموا سياق القرائن النحوية بالنظر إلى النص والمتكلم والمخاطب إلى قسمين : قرائن لغوية وقرائن حالية (مقامية) ، وبينوا حدودهما ، ودلالاتهما ، وعلاقتهما بالمعاني النحوية .
- أن سياق الحال يرتبط غالباً بـ (المتكلم والمخاطب) ؛ لأن المتكلم ينظر إلى حال المخاطب عند بنائه للتركيب للدلالة على المعاني ، والمخاطب ينظر إلى السياق لتفسير الظاهر التركيبية لكشف المعنى المقصود .
- أن السياق بالنظر إلى جهة المعنى يقسم إلى قرينتين : قرينة كاشفة عن جزء التركيب والمعنى ، وهذا ظاهر في الحذف ، وقرينة موحدة للمعنى ، وهي كالناسخ والمنسوخ في المعنى .
- أن السياق في الحذف يكشف عن العامل ، والعامل يوجد الموقعية وجزءها (الإعراب) ، فهو ، أي : السياق يفسر المحذوف ، ولا يفسر الحركة في جزء التركيب الظاهر .

الهوامش :

(١) ينظر : سياق الحال في كتاب سيبويه : ١٤ ، والقرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه : ٢٩

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ١٧٨-١٨١ ، والجملة العربية والمعنى : ٥٣-٥٦ .

(٤) ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه : ٢٢ .

(٥) ينظر: نظرية نحو الكلام : ١٤٩ .

(٦) الكتاب : ٢٧١/١ .

(٧) ينظر: شرح الكتاب للرماني : ٤٨٢/١ .

(٨) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : ٤٤٧-٤٤٩ ، والمعنى وظلال المعنى : ١٥٢-١٥٤ .

(٩) ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق : ٨٢-٨٣ .

(١٠) ينظر: م . ن : ١٢٦-١٢٧ .

- (١١) ينظر: الفكر النحوي العربي : ٤٥٦-٤٥٧ ، نظرية نحو الكلام : ١٥٨-١٥٩ .
 (١٢) ينظر: الكتاب : ٢٦٨/١ .
 (١٣) شرح الكتاب للرماني : ٤٨٠/١ .
 (١٤) ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه : ٥٧ ، و المعنى وظلال المعنى : ١٥٢ .
 (١٥) ينظر: نظرية نحو الكلام : ١٦٠ .
 (١٦) ينظر: م . ن . ٣١٨ .
 (١٧) الكتاب : ٣٩٣/١ .
 (١٨) ينظر: الأصول في النحو : ٧٤/٢ .
 (١٩) نتائج الفكر : ١١١ .
 (٢٠) ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه : ٥٧ .
 (٢١) ينظر: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه : ٥٦ .
 (٢٢) ينظر: نظرية نحو الكلام : ٣٣٠-٣٣٢ ، والبديل المعنوي في ظاهرة الحذف : ١٥٨-١٥٩ .
 (٢٣) سورة البقرة : ١٧١ .
 (٢٤) الكتاب : ٢١٢/١ .
 (٢٥) المقتضب : ٧٩/٢ .
 (٢٦) شرح الكتاب للسيرافي : ٢٨٤-٢٨٥/٢ .
 (٢٧) ينظر: نتائج الفكر : ٧٧-٧٨ .
 (٢٨) ينظر: القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه : ٢١٤ .
 (٢٩) ينظر: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : ٣٠٥ .
 (٣٠) ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه : ٧٦ .
 (٣١) ينظر: المعنى وظلال المعنى : ١٣٧-١٣٨ ، ١٥٥ - ١٥٦ .
 (٣٢) طه : ١٧ .
 (٣٣) الكشاف : ٧٤/٤ .
 (٣٤) ينظر: الخصائص : ٣٩٤/٢ - ٣٩٥ .
 (٣٥) ينظر: البديل المعنوي في ظاهرة الحذف : ٣٠-٣٢ .
 (٣٦) ينظر: البديل المعنوي في ظاهرة الحذف : ٣٧ .
 (٣٧) ينظر: نظرية نحو الكلام : ٢٩٣ .
 (٣٨) ينظر: الكتاب : ١٣/١ .
 (٣٩) ينظر: م . ن . ٣٦١/١ - ٣٦٢ .
 (٤٠) م . ن . ٣٦٢/١ .
 (٤١) ينظر: شرح كتاب السيرافي : ٢١/١ - ٢٢ .
 (٤٢) ينظر: م . ن . ٢٤٩/٢ - ٢٥٠ .
 (٤٣) ينظر: شرح الكتاب للرماني : ٦٠/١ - ٦١ .
 (٤٤) ينظر: م . ن . ٦٢٧/٢ - ٦٢٨ .
 (٤٥) ينظر: الخصائص : ١٠٤/١ .
 (٤٦) ينظر: دلائل الإعجاز : ٥٥-٥٦ .
 (٤٧) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب : ٥٧/١ - ٦٠ .
 (٤٨) ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق : ٦٦ .
 (٤٩) ينظر: معاني النحو : ٢٣/١ .
 (٥٠) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٥ - ٢٠٧ .
 (٥١) ينظر: الإيضاح في علل النحو : ٧٧-٧٨ .
 (٥٢) ينظر: من أسرار اللغة : ٢٠٨ .
 (٥٣) ينظر: معاني النحو : ٢٣/١ .
 (٥٤) ينظر: الكتاب : ٢٤١/٤ - ٢٤٢ ، ومن أسرار اللغة : ٢٠٨ .
 (٥٥) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية : ١٨٧ - ١٩٣ .
 (٥٦) ينظر: الكتاب : ٤٧/١ - ٤٨ .
 (٥٧) ينظر: شرح الكتاب للسيرافي : ٣٠٣/١ - ٣٠٤ .
 (٥٨) ينظر: شرح الكتاب للرماني : ١٥٤/١ - ١٥٥ .
 (٥٩) ينظر: الخصائص : ٣٨٥/١ - ٣٨٦ .
 (٦٠) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب : ٢٢٤/١ - ٢٢٥ .
 (٦١) ينظر: معاني النحو : ١٥٣/١ .

(٦٢) ينظر: النحو العربي : ٣٤/١-٣٥ .
(٦٣) ينظر: نحو العربية : ١٩/٢ .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

- ١- الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، إدريس مقبول ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، عمان - الأردن ، ٢٠٠٧م .
- ٢- الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت٣١٧هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- ٣- الإيضاح في علل النحو ، لأبي القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق : محمد السيد عثمان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٢م .
- ٤- البديل المعنوي في ظاهرة الحذف ، كريم حسين ناصح الخالدي ، ط١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٨م .
- ٥- الجملة العربية والمعنى ، فاضل صالح السامرائي ، ط٢ ، دار الفكر ، عمان - الأردن ، ٢٠٠٩م .
- ٦- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط١ ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ٢٠١٥م .
- ٧- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- ٨- دلائل الإعجاز ، لأبي بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١ او ٤٧٤هـ) ، أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط٣ ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، ومطبعة المدني ، مصر ، ١٩٩٢م .
- ٩- سياق الحال في كتاب سيبويه ، دراسة في النحو والدلالة ، أسعد خلف العوادي ، د.ط ، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ٢٠١٠م .
- ١٠- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، شرح رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي (ت٦٨٦هـ) ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- ١١- شرح كتاب سيبويه ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ) ، ط١ ، دار عمان للنشر والتوزيع ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠٢١م .
- ١٢- شرح كتاب سيبويه ، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق : أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٨م .
- ١٣- الفكر النحوي العربي بين فهم النص القرآني وتأثير سلطة العقل ، كريم حسين ناصح الخالدي ، ط١ ، الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٦م .
- ١٤- في النحو العربي قواعد وتطبيق ، مهدي المخزومي ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٦م .
- ١٥- القرائن وأثرها في التوجيه النحوي عند سيبويه ، لطيف حاتم الزالملي ، ط١ ، مؤسسة الانتشار العالمي ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٤م .
- ١٦- الكتاب ، كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبو ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- ١٧- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لجار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٨م .
- ١٨- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ط٤ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- ١٩- معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، ودار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٧م .

- ٢٠- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية ، محمد محمد يونس علي ، ط٢ ، دار المدار الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٧م .
- ٢١- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ، د . ط ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٠م .
- ٢٢- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- ٢٣- نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ) ، دققه : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٢م .
- ٢٤- النحو العربي ، إبراهيم إبراهيم بركات ، ط١ ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ٢٠٠٧م .
- ٢٥- نحو العربية ، عبد اللطيف الخطيب وسعد عبد العزيز مصلوح ، ط١ ، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ٢٠٠١م .
- ٢٦- نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، كريم حسين ناصح الخالدي ، ط٢ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٨م .
- ٢٧- نظرية نحو الكلام رؤية عربية أصلية ، كريم حسين ناصح الخالدي ، د . ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٤م .